المجلة السياسية والدولية

اسم المقال: تحولات الهوية في العراق بين الهوية الوطنية والفرعية
اسم الكاتب: م.د. دينا هاتف مكي
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/2284
تاريخ الاسترداد: 2025/05/07 13:39 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من الصفحة الخاصة بالمجلة السياسية والدولية على موقع المجلات الأكاديمية العلمية العراقية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

تحولات الهوية في العراق بين الهوية الوطنية و الفرعية

م. د. دينا هاتف مكي(*)

"والهويةُ؟ قلتُ
فقالَ دفاعٌ عن الذات...
إن الهوية بنتُ الولادة، لكنها
في النهاية إبداعُ صاحبها، لا
وراثةُ ماضٍ .أنا المتعددُ .في
داخلي خارجي المتجدد ..." *

المقدمة

تعطي الهوية الوطنية لاي جماعة تميزا عن الهويات الوطنية الاخرى ذلك انها تعكس التاريخ المشترك لهذه الجماعة و ثقافتها و اهدافها و رغباتها ، و تمسك الافراد بهذه الهوية او حملهم لها يعطيهم تميزا و مكانة على الصعيد الدولي كمنتمين و حاملين لهذه الهوية و بها يعرفون ، لكن بغياب هذه الهوية او ضعفها يجد الافراد انفسهم فاقدين لهذا التعريف و لهذا التميز ، و تعد هذه مشكلة بالنسبة للهوية العراقية التي اخذت بمرور الايام تاخذ دورا ثانويا مقارنة بغيرها من الهويات ، فهناك غياب "للهوية الجامعة ... انتج فراغ ملاته الهويات الفرعية " و احيانا العابرة للقومية .

منذ تشكيل الدولة العراقية سنة ١٩٢١ حمل ابناءها الهوية الوطنية المعبرة عن العراق باكمله و استمروا بحمل هذه الهوية ، و رغم الصعوبات و الحروب التي مر بها البلد الا ان الهوية الوطنية ظلت هي السائدة الى العام ٢٠٠٣ الذي يعد عاما فاصلا في حياة الدولة العراقية و حياة مواطنيها ، اذ اخذت الاحداث التي تصيب البلد تلعب دورها في تغيير الدولة و هويتها لنجد امامنا بروز هويات جديدة بعض منها دون الوطنية . على اختلاف انواعها ـ و اخرى عابرة للحدود او عابرة للقومية لعبت دورا في اضعاف

(*) مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية، جامعة بغداد.

* محمود درويش قصيدة طباق من ديوان "كزهر اللوز او ابعد " ٢٠٠٥ .

الهوية الوطنية و تلاشيها احيانا من عقلية المواطن العراقي و هنا يبرز السؤال الذي يطرح نفسه هل كانت الهوية العراقية من الهشاشة بحيث تتحول بهذه السهولة و تتغير ام ان هناك عوامل اخرى ساعدت و عملت على اضعافها و تحولها ، و هل تتعلق هذه العوامل بالفرد ام المجتمع ام الدولة او انها تجمع فيما بينها، هذا ما سوف نبحثه من خلال منهج تحليلي .

مدخل:

نبدأ بتعريف الهوية ورغم وجود تعاريف كثيرة للهوية الا اننا نكتفي بتعريف انها "وصف او بكلمات اخرى هي تعريف بالوجود والانتماء"[١]. فهي دلالة على انتماء الفرد لشيء ما او لمكان ما، فقد يكون هذا المنتمى اليه وطن او جماعة او حزب او منظمة او فئة وغيرها، ولا يتم الاكتفاء بتعريف وجود انتماء و انما لا بد من وجود شعور بهذا الانتماء او حتى حاجة اليه من قبل الفرد كي يتم. و بتعدد الانتماءات من الطبيعي ان يحمل المرء اكثر من هوية ، عائلية و دينية ومذهبية وطبقية ووظيفية و جهوية و قبلية و غيرها من الهويات الفرعية فضلا عن الهوية الوطنية التي من المفروض ان تحتويها جميعا .

هناك هويات مكتسبة و اخرى ممنوحة[٢] ، البعض يحصل عليها المرء بمجرد ولادته و البعض الاخر يكتسبها اكتسابا بفعل الارادة و الاخيرة تطابق ما قال عنه ادونيس من "...ان الانسان هو من يبدع هويته و يكونها "[٣]، والحديث هنا عن الهوية الشخصية، هوية المرء ذاته في ان يختار كيف يصنعها و على اية شاكلة تكون، اي ان العامل الذاتي هو صاحب الدور الاساسي في تكوين الهوية، ولكن في الوقت نفسه هناك هويات تفرض على الانسان يجد نفسه يحملها بمجرد ولادته ـ هوية ممنوحة ـ مثل الهوية الدينية والمذهبية والقبلية و الجهوية وحتى الطبقية، قد يستطيع التخلي عن بعضها لكن ليس جميعها وان يختار هوية من صنعه يحملها ويعرف بها نفسه، نعم

---

[1] Hüsamettin İnaç Feyzullah Ünal . The Construction of National Identity in Modern Times: Theoretical Perspective, International Journal of Humanities , Vol. 3 No. 11; June 2013,p.223 www.ijhssnet.com

[2] Ibid .,p.225

[٣] اشرف صقر ابو ندا ، . الهوية الفلسطينية المتخيلة بين التطور و التازم ، مجلة المستقبل العربي ، ع ٤٢٣ ، ايار ٢٠١٤ ، ص ٨٣

يستطيع ان يصنع من نفسه انسان مختلف لكنه لا يزال يحمل جزء من الهويات التي ولد بها .

لقد بدات الهوية نشاتها اجتماعيا و من ثم اضيف اليها البعد السياسي بعد تبلور الكيانات السياسية لتحمل الهوية كل من البعدين الاجتماعي و السياسي ، و من هنا اصبح الشخص الذي يعيش في مجتمع تابع لدولة ذات سلطة سياسية و يتمتع بالحقوق و عليه واجبات مواطن في هذه الدولة و يحمل هويتها الوطنية و يشترك مع الاخرين في حمل هذه الهوية [٤]، اي ان هناك تدرجية في نشاة الهوية فتطورت بتطور المجتمع بوصوله الى شكله الحالي متمثلا بوجود الدولة .

وتعطي الهوية الوطنية للدولة . على الصعيد الدولي . خصوصية معينة تعبر فيها عن تكوينها و تاريخها و ثقافتها ، اي تجعل منها كيانا خاصا [٥]، و بالتالي من يحمل هويتها يتميز عن غيره بكونه ينتمي الى هذه الدولة.

اما كيف تنشا الهوية الوطنية او من ينشئها هل الافراد يخلقون الهوية ام الدولة هي من يخلقها ، فهناك اكثر من وجهة نظر حول الموضوع .

هناك من يرى انها مصنوعة من قبل الدولة و ان الافراد يجدون انفسهم حاملين لها بحكم الامر الواقع ، فهي "خدعة اوجدتها الدولة و مؤسساتها " و الغرض منها جعل الافراد اداة في خدمة الدولة ، اداة يمكن التحكم بها لتحقيق اهدافهم [٦]، و من هنا يتم رسم شكل هذه الهوية الوطنية كما يراد منها ، فمثلا قال ماسيمو دازيغليو :" لقد انشانا ايطاليا و الان حان الوقت لخلق الايطاليين "[٧]، و من هنا تتفق وجهة النظر هذه مع المدرسة الماركسية التي ترى في الهوية بـ "انها نوع من الوعي المزيف "، ذلك ان الفرد لم يوجد هذه الهوية و انما فرضت عليه من قبل القوى المهيمنة في المجتمع،

---

[٤] علي عباس مراد. اشكالية الهوية في العراق... الاصول والحلول، مجلة المستقبل العربي، ع ٣٩٠، اب ٢٠١١، ص ٨٢

[٥] اشرف صقر ابو ندا . مصدر سبق ذكره ، ص ٨١

[6] Frank Bechhofer and David McCrone. Chapter 1 in National Identity, Nationalism and Constitutional Change (Bechhofer and McCrone, eds), Palgrave Macmillan, 2009.,p.4

[7] Hüsamettin İnaç Feyzullah Ünal op,cit,p.225 quoted from: Hobsbawm 1991 :44

ويكون الصراع هو السائد في عملية تشكيلها ، فالصراع شكّل العلاقة في المجتمع بين من يملك القوة و من لا يملكها و تكون الهوية انعكاس لهذا الصراع [٨].

اما وجهة النظر الثانية فتمثلها المدرسة الوظيفية التي ترى ان هناك دور للمؤسسات الاجتماعية في بناء الهوية التي تتدرج وفق "مسار تاريخي" ، و لا يكون للصراع دور في تشكيلها و انما "التفاعل بين الفرد و البناء الاجتماعي "الا انها ليست انعكاس للقيم السائدة في المجتمع و انما انعكاس لقيم الفرد كما ان المجتمع يقوم على الاجماع و ليس الصراع [٩].

لكننا نتفق مع الراي الذي يضع عبء بناء الهوية على عاتق اكثر من جهة و يدمج ما بين العناصر المختلفة من الدولة ممثلة بنخبتها الحاكمة التي تضع القوانين و تنفذها فضلا عن بقية النخبة من قيادات المجتمع على اختلاف انواعهم سواء قيادات اثنية او طبقية او فئوية و غيرهم [١٠] ، ذلك ان سياسات الهوية تناط بها اكثر من جهة فالدولة هي التي تضع التشريعات و القوانين التي تخص سياسات الهوية و تنفذها ،فضلا عن ان قيادات جماعات الهوية انفسهم يشاركون في وضع هذه السياسات [١١] . و لا ننسى دور الفرد في نشاة الهوية اذ يشارك الافراد في نشاتها، لكنهم يشاركون من خلال الجماعة التي ينتمون اليها و ليس كذوات فردية ، و انطلاقا من ان الهوية تشيد او تبنى، فهم يشاركون في بناءها من خلال الروايات و السرد حيث يشكلون احد اوجه تشييد الهوية و هم عندما يفعلون ذلك يتاثرون بما ينبغي ان يكون او ما هو شكل الهوية التي يرغبون بها . او ربما يهيء لهم شكل هذه الهوية ـ و من هنا تتحدد طريقتهم في الرواية و السرد لتحقيق شكل الهوية المرغوبة [١٢]، و في كل الاحوال يتم توجيه الافراد لبناء الهوية التي يحدد شكلها قيادات المجتمع او نخبته بوجهيها الحاكمة و

---

[٨] اشرف صقر ابو ندا ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٢

[٩] المصدر نفسه ص ص ٨٢،٨٣

[10] **Sherko Kirmanj. Identity and Nation in Iraq,. USA, 2013, This excerpt was downloaded from the : Lynne Rienner Publishers website www.rienner.com ,p.15**

[11] **Ibid .,p.15**

[12] **LISA STRÖMBOM. Revisiting the Past -Israeli identity, thick recognition and conflict transformation, p,p.33.34 ,www.ivsl.org**

غير الحاكمة ، وكما تشكل الهوية الوطنية يمكن اعادة تشكيلها اذ انها ليست معطى ثابت ابدي و انما قابلة للتغيير او اعادة التشكيل و الصياغة بحيث تتماشى مع المتغيرات المحلية و الدولية و قد تكون الصياغة هذه او اعادة الصياغة بشكل تدريجي و احيانا بشكل مفاجيء وفقا للظروف التي تمر بها الدولة [١٣] . و يعتمد في الصياغة بشكل او باخر على التاريخ والثقافة واللغة والدين والعادات والاعراف والتجارب التي مر بها الافراد سوية [١٤]. و من الطبيعي ان تكون الجهات المسؤولة عن صياغة الهوية مسؤولة عن اعادة صياغتها و تحولها

الجهات المؤثرة في تغيير الهوية و تحولها :

اولا ـ الفرد

من الطبيعي ان يحمل الانسان اكثر من هوية ما بين عائلية و دينية و مكانية و مذهبية و غيرها ، فضلا عن الهوية الوطنية التي يفترض انها تسمو على ما عداها من الهويات.

اذ يحمل الانسان هوية فردية تتعلق به شخصيا و تتحدد من خلال سماته الظاهرية او التي تتعلق بالشكل الخارجي و سماته الخلقية من ذكاء و وعي و حسن الادراك والكرم او البخل او الجشع و غيرها من الصفات التي تتعلق بالافراد بشكل عام و الذين بدورهم يحملون هوية جماعية من خلال تفاعل هوياتهم الفردية بشكل جماعي [١٥] ، وقد تكون هذه الهوية الجماعية فرعية او وطنية او عابرة للوطنية .

لابد من القول ان هناك تراتبية في اولويات الهوية لدى كل فرد ، اما العوامل التي تحدد هذه الاولويات فتتراوح بين البعد المعرفي و مدى الوعي الذي يملكه المرء الذي يحدد انتماءه ان كان فرعي او يسمو على التقسيمات الجزئية او يحدد ترتيب الاولويات لديه وفق نسق معين ، و يضاف الى البعد المعرفي البعد المكاني و الزماني [١٦]، فاحيانا التواجد في مكان معين يفرض على المرء التماشي مع الانتماء السائد فيه

---

[13] Herbert C. Kelman. National Identity and the Role of the "Other" in Existential Conflicts:The Israeli-Palestinian Case,p.4

[14] Ibid . ,p.4

[15] Hüsamettin İnaç Feyzullah Ünal .op,cit ,p.226

[١٦] مالك عوني . الاطار الجامع : هل يمكن للمدخل الاثني تفسير صراعات ما بعد الثورات العربية ، في الاثنيات المضطربة صراع الهويات و احتمال اعادة تشكيل الخريطة الاقليمية ، ملحق تحولات استراتيجية على خريطة السياسة الدولية ، السياسة الدولية ، ع ١٩٣ ، يوليو ٢٠١٣ ، ص ٣

خصوصا عندما لا تتواجد لديه خيارات اخرى ، و ينطبق ذات الشيء على البعد الزماني اذ يجد المرء نفسه في اوقات معينة تسود فيها هويات معينة مضطر لان يحمل هذه الهوية او تلك او يحتمي بها ، و في اوقات اخرى يرى انتفاء الحاجة لحملها و بالذات ان كان قد حملها قسرا او هكذا يشعر ، فهي كما اسلفنا ـ اي الهوية ـ شعور بالانتماء و الاخير احد مكوناتها الاساسية .

و تتحقق الهوية الوطنية لدى الفرد من خلال خلق المواطنة التي تخضع الاختلافات بين الافراد على اختلاف انواعها لمنطق الاستيعاب على اساس التماثل في ظل ثقافة واحدة مشتركة تجمعهم [١٧]. و في نفس الوقت استبعاد الاخر الغريب و هذا المنطق منطق الاحتواء و الاستثناء ينطبق على جميع الهويات باختلاف الاسباب التي يقوم عليها الاحتواء او الاستيعاب ، و تتبلور الهوية الجماعية ـ الوطنية او الفرعية ـ عندما يتخلى الناس عن انانيتهم و لن يتخلوا عن هوياتهم الانانية الا اذا وجدوا في اندماجهم مع الاخرين عوائد او مكاسب اذ باندماجهم معهم تصبح مكاسب الاخرين مكاسب لهم ، و في الوقت نفسه خسائرهم خسائر لهم [١٨]، لكن هناك اختلاف فيما يخص الهوية الوطنية ، فهناك دائما اهمية للوطن، اذ ترتبط الهوية بالمكان والوطن، يمثل المكان الذي يتواجد فيه المرء المحور الذي تدور حوله هويته وقد كانت القرية او المدينة في السابق تمثل هذا المكان لنجدها تتحول بعد ذلك الى الامة عندئذ يتطلب الامر من الناس ان يفهموا تحول ادوارهم وهوياتهم لتتسع لتشمل مكانا اوسع واشمل[١٩]، فعندما يكون للمرء الوطن يعطيه معنى ومكانة سواء في المكان او الزمان[٢٠]،

---

[17] **Hüsamettin İnaç Feyzullah Ünal .op,cit ,p.230**

[١٨] حسين طلال مقلد . الهوية فوق الوطنية ... الاوربة نموذجا ، المجلة العربية للعلوم السياسية ،ع ٣٢ ، خريف ٢٠١١ ، ص ص٩ ، ١٠ .

[19] **MONTSERRAT GUIBERNAU, Anthony D. Smith on nations and national identity: a critical assessment, Nations and Nationalism 10 (1/2), 2004p.137**

[20] **Helena Lindhom SchulzُThe Palestinian Diaspora Between Nationalism and Transnationalism1 P.19,20 in Abbas Shiblak. THE PALESTINIAN DIASPORA IN EUROPE Challenges of Dual Identity and Adaptation, Refugee and Diaspora Studies Series, No.2,2005.**

والوطن هو الذي يميز من ينتمي اليه عن الغرباء و من خلال الانتماء اليه و الى هويته يجد المرء الامان و الاستقرار [٢١].

و قد ساعد التقدم العلمي في مختلف وسائل الاتصال و الاعلام الافراد على ادراك ابعاد وطنهم الذي تتحدد في ضوءه هويتهم اي انها ساعدتهم على ادراك الحدود المكانية لهويتهم . و من هنا تكون ردود الافعال الصادرة من قبلهم عن الاحداث التي تحدث في هذا الجزء من العالم او ذاك غير مبالية الى حد كبير مقارنة بالحدث الذي يصيب جزء من وطنهم او على الاقل يصيب اشخاص يعتبرون غرباء عنهم مقارنة بابناء بلدهم ، اي ان الحدود المكانية للهوية تؤثر في سلوكيات الافراد تجاه الاحداث المختلفة ، و حتى ضمن حدود الامة نفسها تختلف ردود الافعال تجاه الاحداث فالقريبة مكانيا تكون اشد وقعا في النفس ، و حتى الاحساس بالغرباء يختلف، ذلك ان تعريف الغريب يختلف وفقا للموقف منه فهناك اشخاص غرباء من امم اخرى و لكن لا يتم اعتبارهم غرباء و انما نظراء مقارنة باخرين من امم اخرى[٢٢]. و احيانا من نفس الامة و لكن يعدون غرباء .

و يمكن القول انه ترتبط الهوية الوطنية بالمواطنة و يرتبط الشعور بها بما تقدمه للفرد فهي تسمو لديه عندما يكون هناك توازن ما بين الحقوق و الواجبات التي تفرض عليه ، و يلجا للاحتماء بالهويات الفرعية عندما يشعر ان هذه الموازنة قد انتقصت ، او ان هناك واجبات دون حقوق ،اي ان الفرد يشعر بالهوية و الانتماء الوطني في وقت و مكان معينين ليعود في وقت و مكان اخر ليفقدهما ويحمل هوية ثانوية او فرعية او حتى عابرة للقومية يجد فيها ما يفتقد اليه في الهوية الوطنية .

اذ يكون للتجارب التي يمر بها الافراد دور في تخليهم عن هوياتهم الوطنية و حملهم لهويات اخرى ، و بالذات اذا مر الاشخاص بنفس الظروف كان ان يتواجدوا في مناطق صراع او عنف يميلون لان يحملوا الهوية نفسها التي تجمعهم معا و يشعرون بالتضامن فيما بينهم [٢٣]، و هنا يكون التناسب عكسي ما بين قوة الهوية الوطنية و حدة او عنف

[21] Helena Lindhom Schulz,op,cit P.21
[22] MONTSERRAT GUIBERNAU,op,cit ,p.137,138
[23] LISA STRÖMBOM.op,cit, P.35

التجربة التي مرت بها جماعة من الجماعات الفرعية ، فكلما زادت صعوبة او حدة التجربة او كثرة العنف فيها كلما زاد الشعور بالتضامن فيما بين الافراد ـ الذين ياخذون باعطاء صفات ايجابية لهؤلاء الذين ينتمون اليهم مقابل اخرى سلبية لمن هو خارج جماعتهم او مثيلهم ـ و قل شعورهم بالهوية الوطنية التي لم توفر ضمانة كافية لهم ضد التجارب الصعبة التي يمرون بها .

و بما ان الانسان حيوان اجتماعي كما قال ارسطو ، اذ لا وجود له دون وجود الاخرين، و هويته لن يكون لها معنى بدون هويات الاخرين ، فهم يشكلون دلالة لتعريفه ، و انطلاقا من هذه الفكرة يرتبط الفرد بالجماعة ، و في الوقت نفسه ترتبط الجماعة به ـ اذ لاوجود لها بدون وجود الافراد ، و اذا حصل ان تهددت الجماعة فهذا يعني تهديد للافراد المكونين لها و يكون ردهم اما المبالغة في الحفاظ على الهوية القائمة او محاولة التكيف مع المتغيرات و تبني هوية جديدة [٢٤]، وينبع اختيار الافراد من مدى ارتباطهم بالهوية بغض النظر عن طبيعتها، فقد كان وما يزال هناك افراد مستعدين للتضحية بحياتهم من اجل الجماعة التي ينتمون اليها ويشعرون بهويتها [٢٥].

في اي مجتمع هناك انتماءات مختلفة بين قبيلة و ديانة و طائفة و قومية و هناك توزيع للقوة داخل المجتمع يتم وفقا له في معظم الاحيان توزيع الموارد . على اختلاف انواعها . و عليه فان انتماء الفرد يحدد مكانته في المجتمع[٢٦] . اي ان الهوية تحدد المكانة.وطبعا من يمتلك القوة . قادة وافراد ـ وما ينتج عنها يسعى للحفاظ عليها وبالتالي قد يتبع سياسات تعزز من حالة الانقسام المجتمعي، وهنا تاخذ كل جماعة هوية"بالتمترس الاجتماعي والثقافي المعزز للهويات القائمة على الدين والعرق والطائفة"[٢٧].

و عند التمترس وراء الهويات الفرعية تضعف الهوية الوطنية ، فمن الطبيعي ان يحمل الناس هوية اساسية و هويات فرعية ، و الاخيرة انواع عديدة كما اسلفنا في اكثر من

---

[24] LISA STRÖMBOM.,op,cit, P.38

[25] MONTSERRAT GUIBERNAU,op,cit,p.135

[٢٦] باقر سلمان النجار . الفئات و الجماعات : صراع الهوية و المواطنة في الخليج العربي ، المستقبل العربي ، ع ٣٥٢ ، حزيران ٢٠٠٨ ، ص ٣٥

[٢٧] المصدر نفسه ، ص ص ٣٥،٣٦

مرة ، لكن الخطا و الخطر هو في ان تتحول الهوية الفرعية الى المرتبة الاولى لتصبح هوية اساسية تحدد حركة الفرد و اتجاهاته و خياراته ، عندئذ تقف على الضد من المواطنة او مقابل لها بدلا من ان تكون جزء منها و مكمل لها [٢٨] ، لكن على العموم لا يستطيع الفرد فعل شيء بمفرده اذ لا بد من وجود جماعة يستند اليها تشكل احد اركان المجتمع .

المجتمع

يمكن القول ان تطور المجتمع يؤثر في طبيعة الهوية التي يحملها الافراد ، و نطرح فكرة الان تورين الذي يرى ان الهوية انعكاس للمجتمع الذي تتواجد فيه و تتطور بتطوره ذلك انها في المجتمع التقليدي تعبر عن التقسيمات الاجتماعية و الولاءات الموجودة فيه في حين انها في المجتمع الحديث تعبر عن العلائق الاجتماعية الموجودة فيه، في المجتمع التقليدي ترتبط بالماضي في حين في المجتمع الحديث ترتبط بالمستقبل اي بالمتغير و ليس الثابت[٢٩]، فهي تتطور بتطور المراحل التي يمر بها المجتمع، ففي المراحل التقليدية حمل الافراد الهويات التي كانت سائدة في المجتمع انذاك تماشيا مع الثقافة السائدة فيه دينية كانت او اثنية ، و بتطور الزمن و بالتحول الى عصر الحداثة و نشوء الدولة القومية حمل الافراد هوية هذه الدولة ، و ايضا بالتطور الذي حصل بدخول عصر العولمة و التقدم الهائل في وسائل الاتصال اخذ الطرح يدور حول هوية جديدة هي الهوية الكونية او العالمية التي ستحل محل الهوية الوطنية ، لكن للمفارقة حصل نكوص نحو الهوية الفرعية ، و يطرح البعض فكرة ان التخوف من تغول العالمية اخذ يدفع البعض للاحتماء بالهويات الفرعية خصوصا مع ضعف قدرة الدولة على مواجهتها او التخفيف من اثرها .

و يؤثر انقسام المجتمع ما بين هويات متعددة في الهوية الوطنية ، احيانا يكون انقسام المجتمع صفة اصيلة و ليست طارئة فيه بحيث يحمل هويات متعددة ـ تكون الهويات

---

[٢٨] بدر الابراهيم .النزاعات الطائفية في منطقة الخليج ، منتدى العلاقات العربية و الدولية ،مؤتمر شباب الخليج الاول ،الدوحة ٢٠١٢ ، ص٥

[٢٩] اشرف صقر ابو ندا ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٢

الفرعية الموجودة فيه قوية بغض النظر عن طبيعتها ـ و ينعكس انقسامه هذا على النظام السياسي و الدولة بحيث يطبعها بطابعه و يؤثر في اضعاف الهوية الوطنية .

اذا كانت الهوية المجتمعية تقف على الجانب الاخر للهوية الوطنية او بالاحرى الجانب المضاد لها و ليس المكمل لها تاخذ هذه الهوية المجتمعية بالسعي للحلول محل الهوية الوطنية باعتبارها هوية بديلة و اذا كانت هناك اكثر من هوية واحدة داخل هذه الهوية المجتمعية اي عدة هويات فرعية تاخذ بالتنافس و احيانا الصراع و التناحر فيما بينها من اجل السيادة مما يضعفها جميعا و يهدد بالانتقال الى حالة من الاحتراب المجتمعي و جميعها لا تخدم الهوية الوطنية و استمرارها .

تحدث اشكالية الهوية مع عجز الدولة في اشعار المواطنين بانهم كل واحد ينتمي اليها و تقدم لهم الخدمات على حد سواء انطلاقا من مواطنتهم ، و هنا يبرز دور المجتمع الذي يمارس دوره في دمج مواطنيه ، و يلعب مدى التقدم الذي وصل اليه المجتمع دوره في تعزيز الهوية او اضعافها ، ففي المجتمع التقليدي و بالذات التعددي الذي توجد فيه هويات فرعية عدة تاخذ كل من هذه الهويات بمحاولة التعبير عن نفسها سياسيا الامر الذي يضعف الهوية الوطنية [٣٠]، و اذا صاحب هذا الامر وجود قمع من السلطة ، او ان هذه الهويات الفرعية نتيجة لقلة الوعي تتحارب فيما بينها قد تصل بالمجتمع الى حالة من الاحتراب الداخلي والعنف الذي يهدد وحدة الدولة .

احيانا تكون الهوية المجتمعية اساس لبناء الدولة و السلطة ، و قد تكون هذه الهوية هوية مجتمعية موحدة موجودة اصلا او انها تصنع هوية مجتمعية موحدة غير موجودة مسبقا ، اي اما ان تكون هناك هوية تقوم عليها الدولة او ان الدولة تصنعها ، و قد تسير هذه العملية بيسر و سهولة و احيانا كلا اذ تكون هناك مشكلة ان الجماعة الوطنية التي تتشكل منها الدولة تتكون اصلا من جماعات متنوعة لكل منها هوية خاصة بها و تحاول كل من هذه الجماعات او احداها ان تكون هي صاحبة اليد العليا في فرض هويتها على الهويات الاخرى لتذوب فيها و هنا تتمسك كل جماعة بهويتها و ترفض الهوية الوطنية السياسية اي يحصل تقاطع ما بين الهوية الاجتماعية و الهوية

[٣٠] المصدر نفسه ، ص ٨٤

السياسية ـ بدلا من ان يكمل الاثنان بعضهما ـ ويحصل تمسك بالهوية الاجتماعية او حتى طرح هويتهم كهوية سياسية بديلة الامر الذي يعني فشل مشروع الهوية الوطنية[٣١].

عندما تكون هناك عدة هويات فرعية في المجتمع ، و كل جماعة تمثل هذه الهوية الفرعية تقوم بتقسيم الافراد في المجتمع الى نوعين : من هو داخل الجماعة و من هو خارجها ، و طبعا من هو خارج الجماعة يمثل الاخر و ينتمي الى جماعات اخرى، و الاخيرة تمثل منافس للجماعة في الموارد و المكانة ـ اي ان الجماعات في المجتمع لا تتميز علاقاتها بالتعاون و التكامل و انما اساسها المنافسة ـ و المباراة بينهم صفرية فربح احدهم يمثل خسارة للاخر ، و الجماعة الاخرى تمثل تهديد لهم[٣٢]، يصل احيانا لان يكون تهديدا وجوديا ، ذلك ان وجودها يعني اقصاء لوجود الجماعة الاخرى .

و طبعا الافراد داخل الجماعة او الجماعة ككل تعطي لنفسها صورة ايجابية عن نفسها و المنتمين اليها و وضعهم بشكل اعلى من غيرهم من الجماعات [٣٣] ، و احيانا كثيرة تعطي للاخر صورة سلبية خصوصا اذا كان في صراع معها على المصالح او المكانة او الهوية ، تصل بهم الى حد شيطنة الاخر ، في حين يصور مجتمع الجماعة او داخل الجماعة على انه المجتمع الاخلاقي الذي يلتزم فيه الافراد ببعضهم البعض ، و يتم استبعاد الاخر و استثناءه من المعايير التي تطبق داخل الجماعة الامر الذي يصل الى التمميز الاقتصادي و السياسي و قد يصل اعلى حالات التطرف بنشوب التطهير و الابادة الجماعية تجاه الاخر[٣٤].

طبعا هناك مشكلة عندما تكون احدى جماعات الهوية هي المهيمنة في المجتمع و تعامل بقية جماعات الهوية بتعالي او استثناء عندئذ تشعر جماعات الهوية الاخرى بانها رافضة لهم و لوجودهم و يشعرون بالخطر منها و هم يضعونها في مرتبة الاخر الذي يهدد هويتهم [٣٥].

[٣١-٣١] علي عباس مراد ، مصدر سبق ذكره ، ص ص ٨٣،٨٤

[32] Stuart J. Kaufman. Social Identity and the Roots of Future Conflict, October, 2003,p.2

[33] LISA STRÖMBOM.op,cit, P.36

[34] Herbert C. Kelman. Op,cit ,p.3

[35] Herbert C. Kelman. Op,cit, „p.3

عندما يعيش المجتمع حالة من عدم الاستقرار او الصراع من السهولة بمكان ان تنشب صراعات الهوية ، منها صراعات على الموارد خصوصا ان كانت موارد قابلة للنفاد ،و تصل الجماعات المختلفة او من يمثلها الى استخدام العنف و القوة تحت ادعاء الحفاظ على مصالح الجماعة و يكون الخطر عندما تحصل شرعنة مجتمعية لاستخدام القوة و العنف من قبل هذه الجماعات، لذا فهي تزيد من حالة عدم الاستقرار ان كانت موجودة او تساهم في ايجادها[٣٦]، وفي كل الاحوال يحصل نكوص عن الهوية الوطنية.

و جماعات الهوية سواء كانت جماعة وطنية او جماعة فرعية تعرّف عدوها ـ الاخر ـ بطريقة تعتمد على الاساطير والتاريخ و تحدد من هو الذي ينتمي الى الجماعة و من لا ينتمي اليها و غالبا ما تكون الطريقة انتقائية في تحديد تاريخ الجماعة يتم فيها تجاوز احداث و التركيز على احداث اخرى[٣٧]، يتم من خلالها رسم هوية الجماعة وبالتالي طبيعة المسار الذي يمكن ان تتخذه سواء في الظروف الاعتيادية او في حالات عدم الاستقرار.

احيانا بمرور الزمن ما كان مقبولا في فترة زمنية معينة لم يعد مقبولا في فترة اخرى وتعريف جماعة لنفسها في وقت ما قد يتغير و ترفض التعريف السابق او تحاول تعريف نفسها بصورة جديدة او تضع تعريفا جديدا، فاحيانا تجد جماعة ما نفسها لا تنتمي الى الدولة و عندئذ تحاول ان توجد هوية جديدة او انها تجد ان جماعة اخرى معها في الدولة لا تستحق ان تحمل هويتها [٣٨] ، فتحاول ان تستثنيها .

احيانا يكون للتغير دوره في ابراز مشكلة هوية ذلك انه يبث شعور بعدم الامان و عدم الاطمئنان في المجتمع حول التغيير و مداه و ما ينبغي اخذه او تركه من تقاليد يمثل التغيير تهديد لها من اجل ان يحقق هدفه في اللحاق بركب العالم المتقدم و هنا يكون

---

[36] Harith Hasan Al-Qarawee. Iraq's Sectarian Crisis A Legacy of Exclusion, Carnegie Endowment for International Peace,2014,p.3 , www. CarnegieEndowment.org

[37] Stuart J. Kaufman,op,cit,p.1,2

[٣٨] رعد عبد الجليل مصطفى الخليل .حسام الدين علي مجيد . نموذج الدولة ـ الامة التقليدي في مواجهة ازمتي الاندماج و الهوية ، المجلة العربية للعلوم السياسية ، ع ٣٣ ، شتاء ٢٠١٢ ، ص ١٣١

للافكار الوافدة دورها في تهديد الهويات القائمة او بالاحرى حامليها الذين يشعرون بالتهديد من الوافد الجديد [٣٩].

مع التغيير يشعر اعضاء المجتمع بالتهديد ليس من الغرباء فقط و انما من الجديد من القيم و الافكار التي تتطلب منهم التكيف و التجانس [٤٠]، و هو امر ليس بالهين اي ان الهوية التي اعتادوا حملها و ما بنيت عليه طوال الفترات الماضية سوف يتوجب عليها ان تتغير .و هنا لابد ان يكون هناك دور للدولة في هذا كله .

الدولة :

يمكن القول انه فيما يتعلق بالدولة ككيان قائم او بمن يمسك بالسلطة السياسية فهناك عدة امور البعض منها يتعلق بالفشل في التحول الى دولة حديثة اثر في طبيعة الدول القائمة بحيث جمعت هذه الدول بين السلطة التقليدية و الاستبدادية و لم تصل الى مرحلة السلطة العقلانية التي تقوم على اساس عقد بينها و بين المواطنين الذين يفوضونها للعمل من اجل مصلحتهم و ليس مصلحة القائمين بها او عليها ، و من هنا يبحث الفرد عن ملاذ اخر يتمثل في السلطات التقليدية متمثلة بالعشيرة او الطائفة او الجماعة الدينية او الجهوية ..الخ و يحمل هويتها .

واخذت تظهر حركات عابرة للقومية و اخرى دون القومية و تحاول فرض هوية جديدة او احياء اخرى قديمة و التركيز عليها و كانها هي المرجع و سواء كانت الهوية عابرة للقومية او ما دون القومية الا انها جميعا تتحدى الهوية الوطنية .و تبرز هنا مسالة قدرة الدولة و رغبتها في مواجهة مشكلة الهوية الوطنية عندما تكون في اوضاع انتقالية ، و ان كانت قادرة على التجاوب بسرعة كافية مع المتغيرات الحاصلة في مجال الهوية سواء الهوية الفرعية او العابرة للقومية ، و قادرة على الاستجابة لحاجات الهويات الفرعية و مطالبها و هنا لابد من القول ان كل هوية فرعية تاخذ بتقديم مطالب هوياتية بالانفصال و الانفصام عن غيرها من الهويات الفرعية الاخرى و ليس بالتعاون و

---

[٣٩] المصدر نفسه ، ص ١٣٣

[٤٠] المصدر نفسه ، ص ١٣٧

التعاضد فيما بينها مستغلة ضعف الدولة ، و هنا اذا كان النظام في مرحلة انتقالية و بداية بناء الدولة عندئذ يواجه مشكلات كبيرة لن يكون قادرا على حلها بسهولة حتى و ان كان راغبا بذلك .فاذا لم تتمكن الدولة مثلا من بسط سيطرتها على اقليم الدولة باكمله عندئذ لن يشعر الافراد بوجودها و لن يكون ولائهم للهوية الوطنية التي تمثلها عندئذ ياخذون بالبحث عن هويات و ولاءات اخرى .

كما يكون للنخبة الحاكمة دور في تعزيز الهوية الفرعية خدمة لاغراضها من خلال تعزيز فكرة ان المجتمع منقسم بطبيعته و توجد هويات متعددة فيه ، اي انه هو المسؤول عن تعدد الهويات و ليست الدولة ممثلة بنخبتها ذلك انها هي انعكاس لواقع المجتمع و ليست مؤثرة فيه و تاخذ بالعمل على استخدام امور عدة للدلالة على صحة ادعاءاتها كان تحصل استعارة للتاريخ في بعض جوانبه يتم التركيز فيها على احداث معينة ـ . تعزز الهويات الفرعية . و كان التاريخ توقف عندها و لم يتجاوزها ، و هو امر يضر وحدة المجتمع ككل و يضر الهوية الوطنية . ونتفق مع فكرة " ان من يمتلك السيطرة على على التفسير "الملائم" للماضي له السلطة على تحديد الحاضر و ربما طموحات المستقبل"[٤١]

المفروض ان تعبر الهوية الوطنية عن هوية المجتمع باكمله بجميع افراده دون تمييز ، ذلك ان الدولة قامت بهؤلاء الافراد جميعا و ليس بجزء دون اخر ، حتى و ان حمل البعض مسؤولية توحيد الدولة او تحريرها او ادارتها الا ان العبء ، عبء قيام الدولة و استمرارها انما يقع على جميع الافراد دون تمييز .

واذا حدث ان اقدمت الفئة الحاكمة على تهميش جماعة ما و تقريب جماعة دون اخرى عندئذ نواجه مشكلة اذا زادت عن الحد المطلوب نكون امام امكانية مواجهة للهوية الوطنية او رفض لها او ترك لها او انكفاء على الذات .

احيانا تعمل الفئات المهيمنة على اختلاف مسمياتها بدور سلبي على صعيد الهوية الوطنية عندما تسعى لتحصيل المنافع للجماعات التي تنتمي اليها على حساب الجماعات الاخرى في المجتمع و الحفاظ على ميزان القوى لمصلحتها و هنا تساهم

[41] LISA STRÖMBOM.op,cit, P.40

في زيادة الاستقطاب على صعيد الجماعات و احتماء كل منها بهويتها الفرعية على حساب الهوية الوطنية .

عادة ما تقع مسؤولية بناء الامة على الدولة والتي من المفروض ان تاخذ منذ نشاتها بالعمل على بناء الهوية الوطنية ، لكن هذه العملية تختلف من دولة لاخرى و في نفس الدولة من وقت لاخر ، اعتمادا على الطريقة التي نشات بها الدولة و مدى التطور المجتمعي الذي وصلت اليه ، اذ لايمكن ان نقارن الهوية في مجتمع تقليدي بتلك لمجتمع حديث او مجتمع ما بعد الحداثة ، كما ان الدولة التي نشات بعد استقلالها من احتلال ليست كمن نشات بصورة طبيعية و حتى لطريقة الاستقلال اثرها سواء كانت بالقوة و المقاومة او بالمنحة من المحتل و طبيعة السلطة الحاكمة التي تولت ان كانت مدنية او عسكرية و هكذا .

و كان للاحداث التاريخية دورها في تعزيز مشكلة الهوية ، اذ حدث في اكثر من مرة في التاريخ ان تم رسم حدود دولة بصورة عشوائية و تمت اضافة مناطق او استقطاعها من دول دون اخذ راي السكان و هوياتهم بالحسبان و بالتالي لا يشعرون بالانتماء الى الدولة الجديدة ، كما ان من يمسك بالسلطة او نسبة لا باس بها من السكان لا تعترف بالقادمين الجدد و مهما مر الزمن يعتبرون غرباء مما يمثل مشكلة هوية دائمة للطرفين من تم الحاقه و الدولة [٤٢]، احيانا ترسم حدود الدول من قبل قوى خارجية و هذا قد يجعل من الدولة الواحدة تضم جماعات مختلفة لغويا و ثقافيا و دينيا و قوميا و غيرها من التقسيمات ، و تاخذ الجماعة المهيمنة بفرض لغتها و ثقافتها على المجتمع ككل و تحاول خلق امة واحدة من هذا المجموع [٤٣] .

تواجه الدولة مشكلة بناء الامة و تحاول تجاوزها عن طريق تحقيق الاندماج الوطني لكل الجماعات التي تحمل هويات فرعية ، لكن الفشل في انجاح ذلك لا تقع مسؤوليته على الدولة فحسب فهي عملية تعتمد على اكثر من جهة ، على الدولة ممثلة بمؤسساتها و على جماعات الهوية المختلفة ، فالدولة بقدرتها من خلال نظامها السياسي على دمج الهويات المختلفة في هوية شاملة . و يعتمد هذا الامر على استقرار

[٤٢] رعد عبد الجليل مصطفى الخليل .حسام الدين علي مجيد . مصدر سبق ذكره ، ص ١٣١

[43] MONTSERRAT GUIBERNAU,op,cit,p.138,139

النظام السياسي اصلا ـ كما ان الجماعات الفرعية ذاتها تاخذ بمحاولة استمالة السلطة او الضغط عليها من اجل تحقيق مصالحها و هو امر يكون عامل سلبي يؤثر في السلطة السياسية خصوصا عندما تكون في المراحل الاولى من بناء الدولة بكل ما تواجهه من مشاكل او عندما تمر السلطة بمرحلة انتقالية يصعب معها تحقيق اندماج وطني [٤٤].

و تظهر مشكلة الهوية ايضا مع فشل الاندماج الثقافي بان يتم جمع الافراد المختلفين في انتمائهم تحت راية الدولة و نظامها السياسي ، فاذا كانت هناك دولة قائمة لكنها غير قادرة على فرض هويتها على جميع اجزاءها رغم فرض سيطرتها السياسية عليها عندئذ نكون امام مشكلة هوية ، ذلك انه لايوجد وعي جماعي بالدولة و هويتها خصوصا عندما تكون هناك جماعة تعتقد بانها تمثل الاكثرية و تمتلك هذه الهوية التي تفتقر اليها الاقلية بدلا من ان يكون الشعور بانتماء الجميع للدولة [٤٥].

في الحقيقة لا تكمن المشكلة في التعددية على اختلاف انواعها دينية و قومية او اثنية او طائفية او قبلية او جهوية ..الخ ، ذلك ان معظم الدول تتواجد فيها التعددية و لكن بعض منها استطاع التعامل مع المسالة بعقلانية عندما تحول الى دولة مدنية تسمو فيها المواطنة على غيرها من العلاقات الثانوية في حين افتقر البعض الاخر للعقلانية التي تقوم على عقد اجتماعي بين الدولة و المواطن لنجد انفسنا امام دول دينية او دول سلطوية ساهمت في النكوص عن الدولة المدنية التي تحققت و لو لمدة من الزمن لنعود الى سيادة الولاءات الفرعية بدلا من الولاء الوطني [٤٦].

من الطبيعي ان يكون للافراد هوياتهم الفرعية الخاصة بهم لكن لايجب ان تسمو على الهوية الوطنية ، وقد فشلت بعض الدول في هذه المهمة اي في ان تخلق هوية للدولة يجتمع الافراد تحتها لذا اخذ هؤلاء بالاحتماء بالهويات الفرعية و منها الهوية الطائفية خصوصا عندما يجدوا فيها ملاذ لهم من الاضطهاد سواء من قبل الدولة نفسها . او الماسكين بالسلطة . او من قبل هويات طائفية او هويات اخرى مختلفة في الدولة و

[٤٤] رعد عبد الجليل مصطفى الخليل .حسام الدين علي مجيد . مصدر سبق ذكره ، ص ١٢٧

[٤٥] المصدر نفسه ، ص ص ١٣٢ ، ١٣٣

[٤٦] بدر الابراهيم .مصدر سبق ذكره ، ص٧

تصبح "الكيانات الطائفية بديلا " عن التنظيمات التي تقوم في الدول المدنية الحديثة من احزاب و منظمات مجتمع مدني[٤٧] ، اي حصل نكوص عن الدولة المدنية الحديثة لنرجع الى مرحلة ما قبل الدولة .

تكون الهويات في حالة تداخل فيما بينها في الاوقات الطبيعية لكنها تنفصل عن بعضها البعض في مراحل الصراع ، و طبعا تكون للسياسات المتبعة من قبل السلطة الحاكمة دورها في هذا الامر عندما تتبع سياسة تفضيلية في التوزيع و المشاركة ، عندئذ تبدا الهويات التي تشعر بالحرمان بالدفاع عن مصالحها و حقوقها و احيانا تندفع نحو التطرف في هذا المجال او تاخذ بتبني هويات عابرة للوطنية مثل الدين او القومية و غيرها من اجل الوقوف بوجه الاخر المحلي الذي تصفه باوصاف ايضا عابرة للوطنية كي تعطي مشروعية لهويتها و مطالبها التي تعبر عنها من خلال هذه الهوية [٤٨].

و طبعا عندما تستخدم الدولة ممثلة بالفئة الحاكمة اسلوب استخدام احدى جماعات الهوية من اجل الوقوف بوجه الاخر ايا كان هذا الاخر سواء جماعة اخرى مخالفة لها في الداخل او في الخارج ستكون نتائج هذا الاستخدام سلبية [٤٩]،لان ذلك سيولد من التشظي على الصعيد الداخلي وحتى عندما يكون الاخر المختلف معها خارجي قد يثير هذا مشاعر جماعات هوية اخرى في الداخل قد تكون تنتمي الى نفس هويته او لا تنتمي الى ذات الهوية لكنها تتخوف من تزيد نفوذ هذه الجماعة على حسابها .

احدى اسباب ظهور مشكلة الهوية هو التهميش و هي علاقة بين جانبين الحاكم و المحكوم او الفئة الحاكمة و الفئة المحكومة ، الحاكمة عندما تكون غير قادرة او ربما غير راغبة على ادارة التنوع القائم في المجتمع بحكمة ، اي ان التهميش قد يكون مقصود او غير مقصود ، كما تختلف المحاور التي يمسها التهميش فقد تكون ثقافية او سياسية او اقتصادية او ربما جميعها ، كما تختلف ردود افعال الفئة المحكومة على هذا التهميش ـ طبعا وفقا لحدته و ان كان مقصود او غير مقصود ناجم عن سوء تقدير ـ بين من ينكفيء على الذات و يقبل الواقع كما هو ، و بين من يرفض هذا الواقع و

[٤٧] بدر الابراهيم ، مصدر سبق ذكره ، ص٦

[٤٨] باقر سلمان النجار . مصدر سبق ذكره ، ص ص ٣٩ ،٤٠

[٤٩] المصدر نفسه ، ص٤٠

يعبر عن رفضه باشكال مختلفة كان يتقدم بمطالب لمواجهة التهميش و احيانا يلجا للعنف خصوصا عندما لا يلقى اذانا صاغية من الفئة الحاكمة و البعض الاخر يهاجر ويترك كل شيء وراءه[٥٠]، والمشكلة هي عندما يبدا الصراع بين الجماعات المختلفة في الدولة .

المفروض ان هناك اليات تبتكر من اجل احتواء الصراع الاجتماعي بحيث لا يهدد كيان الدولة بالفناء و هي ما يطلق عليها "وسائل الضبط الاجتماعي" و التي تتمثل في كل من نسق القيم و المعايير التي من خلالها يتم اشعار الافراد باهمية الحفاظ على المجتمع ، و يضاف لها ما تمتلكه السلطة السياسية من حق استخدام العنف المقنن من اجل الحفاظ على كيان المجتمع و الدولة ، ولكن يختلف الافراد في استجابتهم و ادراكهم لاهمية وسائل الضبط و اهمية الحفاظ على كيان المجتمع الاكبر الذي يحتويهم حتى و ان لم يتحقق الاشباع الكامل لمطالبهم ، بين من يخضع و من يرفض و عليه لن تجد السلطة السياسية بدا في الحال الاخير من اللجوء الى وسائل الضبط القهري للحفاظ على وحدة المجتمع و الدولة [٥١] .

و لا ننسى ان هناك مشاريع ـ داخلية او خارجية ـ تسعى لنشر الهويات الفرعية و جعلها هي الاساس كهوية و تنحي الهوية الوطنية ، و يقع العبء على الدولة في خلق هوية جامعة ذلك ان لسياساتها دور في تعزيز الهوية الوطنية او العكس و بالذات النخبة الحاكمة التي لو تعالت على اهدافها الشخصية ـ و التي تستخدم التقسيمات على اختلاف انواعها لخدمة مصالحها ـ لامكن بناء هوية وطنية [٥٢].

لماذا يحدث صراع الهوية

للافراد هويات يتم تشييدها من وحدات تسمى البناءات و هناك جوهر البناء او لب البناء و هو الاساس الذي تبنى عليه و يتكون من مجموعة من االمعتقدات و المعاني و

---

[٥٠] نيفين مسعد .النزاعات الدينية و المذهبية و العرقية (الاثنية) في الوطن العربي ، المستقبل العربي ، ع ٣٦٤ ، حزيران ، ٢٠٠٩ ، ص ٦٤

[٥١] سعد الدين ابراهيم (منسق و محرر). المجتمع و الدولة في الوطن العربي ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٦ ،ط٢ ، ص ٤١

[٥٢] بدر الابراهيم .مصدر سبق ذكره ، ص٧

المشاعر ، و هذا اللب او الجوهر هو الذي يديم الشعور بالهوية ، و اذا ما تشابه مع الاخرين يجعلهم يحملون هوية مشتركة ، فهذا اللب او البناء الاساسي هو الذي يساعد المرء في االتكيف مع المحيط او البيئة المحيطة ، و اذا ما شعر المرء بتهديد لهذا البناء الاساسي يشعر بعدم الامان و لن يتردد في اللجوء الى الوسائل الكافية للدفاع عنه و منها الدخول في صراع ، و بناء الهوية وفقا للبناء الاساسي او اللب او الجوهر على الصعيد الجماعي تماثل تلك على الصعيد الفردي و بالتالي فان ردود الافعال على التهديد تكون مماثلة ، فكل وافد جديد يمثل خطر على البناء الاساسي و ما يسمى باللب او الجوهر و من هنا يكون الخوف من الاخر و بناء الحدود معه و سياسة الاستبعاد و التمييز [٥٣] .

قد يبدو الصراع على الهويات قائم من اجل الهوية في ذاتها الا انه في الحقيقة صراع من اجل الهيمنة على النفوذ و القوة و السلطة و تكون الهوية هي الاداة التي تحتمي بها الجماعات من اجل تحقيق اهدافها .

كما قد يجد البعض في الهوية الوطنية في مرحلة من المراحل ملاذا له ، لكنه في مراحل اخرى يجد فيها عبئا عليه و على قدرته في احداث تغيير لمصلحته لذا ياخذ بمحاربتها ، فضلا عن ان بعض الجماعات تعتقد بانها ارغمت على حمل هذه الهوية الوطنية لذا تستغل اول فرصة للتخلص منها و لن تستثني استخدام العنف لتحقيق هدفها ، و اخرى تحاول استبعاد الاخرين من تعريف انفسهم تحت هذه الهوية الوطنية و حرمانهم منها رغم انهم يعيشون في ظل الدولة كغيرهم فيها.

و هناك بديهية ان قوة الهوية الوطنية تتناسب مع قوة المجتمع و الدولة و قدرتهما على احتواء الافراد فاذا كانت الدولة ضعيفة و المجتمع قوي نجد الافراد يتجهون للاحتماء بالمجتمع و الحصول على الخدمات و حمل هويته لكن اذا كان المجتمع تقليدي يتجه الافراد لحمل هويات فرعية جزئية و ليست وطنية اما اذا كان المجتمع بحد ذاته ضعيف و الدولة ضعيفة عندئذ لن يجد الافراد بدا من الاحتماء باية هوية توفر لهم

[53] LISA STRÖMBOM,op,cit .pp .42,43,44,45

الامان و الخدمات .، و اذا كان هناك صراع ما بين الفرد و المجتمع و الدولة عندئذ لن يكون هناك مكان للهوية الوطنية .

الهوية العراقية

فيما يخص الهوية الوطنية العراقية فقد كانت هناك وجهات نظر حول طبيعتها : الاولى ترى وحدة الهوية العراقية و هي جزء من هوية اكبر هي الهوية العربية و ان الامة العراقية امة متجانسة و هويتها عربية ، اما الثانية فترى ان الهوية العراقية تقوم على تعدد ثقافي يشتمل على هويات متعددة ، و ان لا سيادة لحضارة معينة او لغة معينة و الانتماء يكون للعراقية لا غير [٥٤] .

و يعود هذا الاختلاف للموقف من الدولة العراقية نفسها ، فهناك من كان يرى ان العراق دولة مدنية علمانية ، دولة لكل مواطنيها و بالتالي فان الجميع يحمل الهوية الوطنية العراقية و يعرف نفسه بها و ليس الهوية الفرعية على اختلاف انواعها [٥٥]،و ان كان البعض يرى ان الاكراد لا يقعون ضمن هذه الفئة من المواطنين الذين يعرفون انفسهم بالهوية العراقية ،في حين يرى البعض و منهم يافي ان العراق ليس هيكل مصطنع و انما امة قديمة و مثلها الجنابي و معطر اللذين يريان ان هناك جذور موغلة في القدم ساعدت في بناء العراق الحديث ووضع اسس الدولة [٥٦].

وجهة النظر الاخرى لا ترى في العراق كيان واحد و بالتالي يحمل هوية تعبر عنه ، و انما هو مجموعة من الاجزاء التي تم توحيدها ، فأوليري و ايلند يعتقدان ان العراقيين لم ياتوا من اصل واحد و لم تجمعهم الهجرة من مكان واحد وحتى الولايات الثلاث التي تشكل منها لم تجتمع لا ثقافيا ولا سياسيا تحت هوية واحدة ولم يتمكنوا من تحقيق ذلك مع انشاء الدولة الحديثة[٥٧]، وبالتالي انعكس هذا على الهوية الوطنية للدولة .

---

[54] Serhun Al. Kurds, state elites, and patterns of nationhood in Iraq and Turkey,in Rethinking Nation and Nationalism, June 2, 2015, project on middle east political science POMEPS STUDIES,p.6, http://pomeps.org/2015/03/04/rethinking-nation-and-nationalism-memos/

[55] Sherko Kirmanj. Op,cit,p.10.

[56] Ibid,,p.10.

[57] ibid.,p.11

اتضح اثر وجهتي النظر هاتين او هذين التيارين في العملية السياسية بعد ٢٠٠٣ في محاولة لبناء هوية عراقية جديدة تتفق مع المتغيرات الجديدة بعد التاريخ المذكور و انعكس هذا في كتابة الدستور العراقي الجديد الذي اكد في اكثر من مكان على لفظة مكونات الشعب سواء في الديباجة او في المواد المتضمنة فيه و يعود بعد ذلك ليتحدث عن الشعب العراقي بصورة واحدة و يستمر على هذا النهج في كثير من الفقرات* ، و انعكس هذا التضارب ايضا في الممارسة السياسية بعد ذلك لياخذ التمثيل الفرعي او الجزئي دوره في تقسيم المناصب و المراكز السياسية بعيدا عن الهوية الوطنية الواحدة [٥٨].

اذا افترضنا ان الهوية العراقية الوطنية نشات مع ظهور العراق الحديث سنة ١٩٢١ فقد ظلت مدة طويلة من الزمن محافظة على وجودها نظرا لعمومية الشعور بالمواطنة ، لكن هذا لم يمنع المشاعر القومية للبعض من الظهور و المطالبة بالانفصال و انشاء وطن قومي ، و قد ساعدت الحرب العراقية . الايرانية التي استمرت ثماني سنوات و من ثم دخول العراق الكويت و ما تلاه من حصار اقتصادي في اضعاف الشعور بالمواطنة نظرا لتراجع قدرة الدولة على الايفاء بالتزاماتها تجاه جميع الافراد و ساعدت القوى الخارجية اقليمية كانت ام دولية باضعاف الدولة العراقية و توجت جهودهم بحرب ٢٠٠٣ التي انهت العراق الذي انشيء سنة ١٩٢١ و الهوية التي ارتبطت به طوال تلك الفترة و تم البدء ببناء عراق جديد و هوية جديدة . هذه الهوية تنازعت على وضعها جهات عدة اقليمية و دولية فضلا عن جهات عراقية داخلية لكن اليد الطولى كانت للقوى الخارجية .

اي ان نشاة الهوية الجديدة ساهمت في خلقها الدولة او بالاحرى النخبة الحاكمة فيها فضلا عن بعض القيادات من النخبة داخل البلد ، و كان للتاثيرات الخارجية من الدول الاقليمية و الدولية دورا في رسمها كما اسلفنا .اما القوى المجتمعية من احزاب و جماعات اثنية فقد ساهمت بشكل غير مباشر في صياغة هذه الهوية من خلال قياداتها الداخلين في العملية السياسية ، احيانا يهيء للمرء ان هؤلاء منفذين لسياسات الهوية

* انظر الدستور العراقي –(اي سنة واين نشر ومتى)

[58] Harith Hasan Al-Qarawee,op,cit,p.5

الخارجية اكثر مما هم مساهمين في وضعها نظرا لخضوعهم للتاثيرات الخارجية بشكل كبير ، فهم بمثابة ناقل او عامل مساعد او منفذ و ليس راسم لسياسات الهوية ، في حين لم يكن دور الافراد ايجابيا في نشاة الهوية الجديدة ، فهم و نظرا لضعف الدولة وعدم قدرتها على تحقيق الموازنة بين حقوق و واجبات المواطنين فضلا عن تلكؤها في القيام بواجباتها الاساسية من حماية و تقديم خدمات ـ سواء عن قصد او بدون قصد ـ ساهمت في دفع الافراد للتخلي عن هويتهم الوطنية والاحتماء باخرى فرعية، دينية، مذهبية، قبلية او قومية بحثا عن انتماء جديد، وهو في الحقيقة انتماء جديد قديم في اصله، فهذه الهويات الفرعية كانت موجودة منذ القدم لكنها لم تحتل المكانة التي وصلت اليها اليوم بحيث اخذت بالتدريج تحل محل الهوية الوطنية التي اخذت تضعف باستمرار حتى ان الدعوات لتقسيم البلد الى ثلاثة اقسام اخذت تلقى اذانا صاغية من لدن البعض الذين لديهم استعداد لحمل هويات فرعية جديدة ـ مذهبية و قومية ـ لتكون هوية وطنية اساسية بدل تلك العراقية ، كما ان هويات عابرة للقومية ـ تحت غطاء ديني ـ اخذت ايضا تلقى استعداد من لدن البعض لحملها بدلا من الهوية الوطنية خصوصا عندما تمكن افراد منهم من بسط سيطرته على اجزاء واسعة من البلد وجد من قبل البعض تعاون و استعداد لحمل هذه الهوية الجديدة و ياتي هذا نتيجة لعدم شعورهم باهمية هويتهم الوطنية و ما مفروض ان تقدمه لهم، فاذا كانت الهوية شعور بالانتماء فقد فقد البعض شعور الانتماء لذا اصبح مستعدا لحمل اية هوية بديلة.

وبما ان للبعد المعرفي و البعدين المكاني و الزماني دوره في اختيار الهوية و تشكيلها، فكما قلنا ان مدى الوعي يؤثر في مدى اختيار الافراد، وقد ساهمت التجارب الصعبة التي مر بها البلد من حروب وحصار اقتصادي في تردي الوضع المعرفي و العلمي في البلد ككل اذ زادت نسبة الامية بشكل كبير و كان للوضع الامني المتردي بعد ٢٠٠٣ و لحد الان دوره في تفاقم هذه المشكلة و بالتي تقل قدرة الافراد على تحكيم المنطق في اختياراتهم ، فضلا عن ان للمكان دوره ، فالامر البديهي ان الريف يختلف عن المدينة ، كما ان للتوزيع الجغرافي الذي رافقه توزيع مذهبي او قومي دور سلبي في

تعزيز التمسك بالهوية الفرعية ، و لا ننسى البعد الزماني فما كان مقبولا لدى البعض من هوية وطنية حملها ـ سواء برغبة منه او قسرا ـ اخذوا مع تغير الوقت بالتخلي عنها . و لا يمكن ان نغفل ان هناك من كان يوجه من القوى الاقليمية و الدولية من اجل تاجيج صراعات الهوية داخل العراق ، و من كان يتبعها في الداخل . من النخبة ـ لم يكن يهدف سوى تحقيق مصالحه فهو في الحقيقة صراع على الموارد و المكانة في المجتمع ، لذا نجد ان البعض تخلى عن هويته ـ فرعية كانت او وطنية ـ و تمسك بهوية جديدة فقط من اجل المكاسب التي تاتي مع هذه الهوية ، فاحيانا كان الانتماء الى هذه الهوية او تلك يصاحبه مكانة مجتمعية فضلا عن العوائد المادية و هنا يعود الامر الى مدى الوعي الذي يتمتع به الفرد الذي يدفعه لهذا الامر .

المشكلة ان الصراع ما بين الهويات الفرعية في المجتمع اثر كثيرا في الهوية الوطنية و غطى عليها، فلم نعد نسمع عن الهوية العراقية و انما هويات مذهبية و قومية و دينية، وهناك بعض الهويات الفرعية اقوى من غيرها بفعل كون بعض من حامليها ممن يمسك بالسلطة وبذا تحاول قدر الامكان ان تطبع الهوية الوطنية بطابعها بدلا من ان تحتمي بها، واذا ما تحقق ذلك نواجه خطر ان يتم استبعاد الاخرين من الهويات الفرعية الاخرى من الهوية الوطنية التي تصبح بمرور الزمن استثنائية و استبعادية تشمل البعض دون الكل ، مما يدفع الاخرين لان يحاربوا هذه الهوية الفرعية او ان يحاولوا الانفصال عن الهوية الوطنية و بناء هوية وطنية خاصة بهم او حتى حمل هوية بلد اخر يحقق لهم ما لم تحققه لهم هويتهم الاصلية .

الخاتمة :

تمر الهوية العراقية بمرحلة صعبة فهي تقف على مفترق طرق اما ان تستمر كهوية وطنية او تنتهي الى الابد ، و يعتمد هذا الامر على من تقع على عاتقه صياغة الهوية من دولة ممثلة بنخبتها الحاكمة و غير الحاكمة و على القوى الخارجية التي ساهمت في تشكيل العراق بشكله الجديد ، اذ في كل مرة نسمع التاكيد على ما يسمى بـ "مكونات " الشعب ، اي التعامل معه على شكل اجزاء و تقسيمات و ليس ككل واحد و تم العمل على تطبيق هذه الفكرة في الدستور و الممارسة السياسية و محاولة خلق

هوية جديدة تتناسب معها ، قد تنتهي في المستقبل بهوية عراقية لكنها تفتقد لمكوناتها السابقة او لن تكون هوية جامعة كما كانت و انما هوية استبعادية استثنائية تحتوي جزء من الشعب دون اخر ـ هذا ان لم يتم تقسيم البلد الى اجزاء ثلاثة و هنا تنتهي الهوية العراقية الى الابد ليحمل كل جزء الهوية الفرعية التي قام عليها مذهبية كانت ام قومية ـ و ستظل الهويات الفرعية الثلاث الرئيسية تتصارع فيما بينها على الموارد و المكانة و الارض و تحاول كل منها الحلول محل الاخرى لتحمل اسم الهوية العراقية لكي تمثلها هي اي الهوية الفرعية فحسب اذ كل ما عداها يمثل الاخر الذي يشكل خطر او تهديد وجودي فلا بد من استبعاده و استثناءه و هنا لن تجد بدا من اللجوء الى القوة لتحقيق اهدافها او بالاحرى اهداف قياداتها التي تسعى لتحقيق مصالحها الشخصية باستخدام مصالح الجماعة و الحفاظ عليها كحجة ، و هنا من الممكن ان يدخل البلد في حالة من الصراع الممتد بين الهويات الفرعية و الذي سيقضي بمرور الايام على الهوية الوطنية .

ملخص:

منذ تشكيل الدولة العراقية سنة ١٩٢١ حمل ابناءها الهوية الوطنية المعبرة عن العراق باكمله و استمروا بحمل هذه الهوية ، و رغم الصعوبات و الحروب التي مر بها البلد الا ان الهوية الوطنية ظلت هي السائدة الى العام ٢٠٠٣ الذي يعد عاما فاصلا في حياة الدولة العراقية و حياة مواطنيها ، اذ اخذت الاحداث التي تصيب البلد تلعب دورها في تغيير الدولة و هويتها لنجد امامنا بروز هويات جديدة بعض منها دون الوطنية . على اختلاف انواعها ـ و اخرى عابرة للحدود او عابرة للقومية لعبت دورا في اضعاف الهوية الوطنية و تلاشيها احيانا من عقلية المواطن العراقي و هنا يبرز السؤال الذي يطرح نفسه هل كانت الهوية العراقية من الهشاشة بحيث تتحول بهذه السهولة و تتغير ام ان هناك عوامل اخرى ساعدت و عملت على اضعافها و تحولها ، و هل تتعلق هذه العوامل بالفرد ام المجتمع ام الدولة او انها تجمع فيما بينها، هذا ما يحاول البحث ان يوضحه .

Abstract
The transformation of identity in Iraq between national and sub-national .
Assistant professor phd. Dina Hatif Maki
Since the formation of Iraqi state in 1921, its people hold the national identity that represent Iraq as a whole and they continued to hold to it in spite of all the hardships and the wars that they passed through till the year 2003 which is considered as a turning point in the life of the Iraqi state and its people. Since April 2003 the country had undergone so much events that played a role in changing the state and its identity and led to the rise of new identities whether sub-national or supra-national, theses new identities managed to weaken the original national identity and sometimes its vanish from the mind of the Iraqi citizen. Here rises the question is the Iraqi identity so fragile that it could not withstand the challenges it faced or there are other factors that helped its weakening and transformation, and are these factors concern the individual, the society , the state or a combination of them this what this research tries to answer.